قصة قصيرة

العاصفة

ثريّا الحلو ❖

كان علينا إخراجُ كلّ المعدّات الموجودة في المنجرة حتى لا تتعرّض لأيّ ضـرر. فقد غمرتْ مياهُ الأمطار الأرضَ، وبلغت الإمدادات الكهربائيّة.

أنا وداني في الطبقة السفليّة، نَكْشف عن الملفّات والمستندات التي خفنا أن تقع بين أيدي العمّال المياومين الذين دفعنا لهم أجرًا مضاعفًا كي يقبلوا بالعمل في مثل هذا اليوم العاصف.

كان علينا جمعُ ما هو مهمّ من أوراق وكاتالوغات وصـور وغيرها، ووضـعُها في سـيّارتي. العاصفة شديدة، وكلُّ ما يظهر في الخارج ظلام شـديد. لم تفلح الشـمس في اختراق جدار الغيم الذي بدا وكأنّه سـقط على الأرض وأطبق على بداية هذا النهار.

داني مرهق، وأنا مثله. ضـوءُ اللمبة المتدلّية من السقف خافت، وقد جعل وجوهَنا غائبة. لكنّ حركة جسدينا كانت تملأ المكانَ وتضيئه برغباتنا، التي لا يمْكن عتمةٌ أن تخفيَها، ولا عاصفةٌ أن تؤجّلَها.

داني الذي كان يخشـى خسـارتي بعد خلافنا قبل يومين، وأنا التي أخشى خسارته، وفّرت العاصفةُ علينا أيّامًا من ادّعاء العداء.

تصـلنا أصـواتُ العمّال في الطبقة الأولى وهم يتناقشـون ويجأرون تحت ثقل الآلات التي يسحبونها. يرتجّ السقفُ ويرتجّ جسـدي وأنـا أتفحّص داني وهو يسـند ظهره إلى الحائط. بدت لـي الحياةُ رمادًا وأنا بعيدةٌ عنه. أتحرّك بشـهوتي التي تستفيق عليه كلما أعتمَ نهار. أمرّ أمامه باتجاه الخزانة التي بقي علينا إفراغُها.

«تعالي!». أمسكَ بيدي، ثم شدّني إليه.

وجهي يغوص في ظلمةٍ تضيّق حدودَ المكان. قلبي يصير، عند ملامسة كفّه لكفّي، فراشة. كفّي تصير دافئة. رأسي عند صدره، أسمع دقّات قلبه مثلَ تكتكةِ ساعةٍ تتسارع مع الوقت. أرخي جسدي المتعب. أسْلمه لكفيّ داني. ماذا ستفعل بي؟

«ششش. تعالي فقط. أشعر بالبرد. دعيني أتدفّأ بحرارة ملابسك وجلدك.»

كفّاه الرفيعتان تتسـلّلان تحت ملابسي السـميكة. تدوران حول خاصرتيّ ووركيّ. أطرافُ أصابعه الباردة تشتعل، وتشعل حلمتيّ. أُلصِقُ جسمي به. أرفع قدميّ فترتاح مؤخّرتي عند حوضه. ينتشر شررُ الدفء في جسدينا.

أنصتُ لخطواتٍ تبدو قريبةً منّا. «إنها في الأعلى، حبيبتي. لا تخافي.» برأسه يشير إلى أعلى، حيث خبطُ أقدامِ الرجال في الطبقة الأرضيّة.

يريح رأسه عند رأسي. أصابعه تعتصر حلمتي. جسمي يتفتّح مثل وردة. بحركة بطيئة، أحفُّ جسمي بجسمه. لا نستعجل قبلةً. نصغي إلى حركة الرجال، وعلى إيقاع دعساتهم يحرّك داني أناملَه بين نهديّ، عاصرًا إيّاهما. أمسكُ يده، وأُنزلها تحت تنّورتي وتحت سروالي. أنفاسُه ينفخها في أذني. أتألّم بشهوتي. أصابعه الرقيقة الطويلة هناك ترسم كلّ تفاصيلي، تغوص بي.

❖ كاتبة لبنانيّة. والاسم مستعار.

العتمة تعزل الأصوات التي كانت تأتينا. تصير حواسُّنا متجمّعةً في لذّتي التي تبثّها بي أصابعُ داني. جسدي يصير طريًّا وطيّعًا. أتمايل مع حركته التي تجعلني أقترب من نشوتي. أُنزل ملابسي وأستدير نحو داني. أفكّ ملابسه. يدي تمسك بذكره الذي يحلّق بي كلَّ مرة. يرفعني داني بين يديه. يحملني، ويضعني فوق مكتب صغير. ذكرُه الذي يدسّه فيّ يصير ثعبانًا، وأنا أتلوّى به. أسمع شهقاته. صوتي يموء بلذتي. في هذه اللحظات نصير روحًا واحدةً. خيالات وجهه وهو يشهق بلذّته تثيرني أكثرَ وأكثر، فأطلب منه أن لا يتوقّف وأن يظلّ في داخلي.

«بعد؟ تريدينه بعد؟» يسألني هامسًا لاهثًا.

أقول له: «بعد. أريدك كلّك بي. أريدك أن تكون كلّك لي!»

نصير روحًا تلج روحَها. العاصفة في الخارج تدور على إيقاع حركة جسدينا الملتحمين، على رغبة وألم، على متعة وحبّ، على شهوة وخوف، على حياة كاملة بيننا تضيء جوانبَ هذا المستودع الرطب.

العاصفةُ في أوجها. تميل أعناقُ الأشجار وتمزّق صرخاتُها سكونَ الصباح. لا شمس تضيء هذا الصباح. وجهي ووجه داني يشتعلان بنورٍ خاصّ. كلّ ما في الكون يتجمّع أسفلَ هذا المكتب العتيق، فتبرق الشهوة، وتلمع بأطرافنا وبكلّ ما فينا.

داني يقبّل عنقي:

«مجنونة أنتِ.»

تعود الأصواتُ تدريجيًّا: ضرباتُ الأحذية التي ترجّ الأرض، والخزانة التي نحاول كسر قفلها لتحديد مصير الأوراق داخلها. يبدو أنّ أشياء قليلة فحسب كنّا في حاجة إليها.

هدأت العاصفة وشقّت خيوطُ الشمس حجابَ الغيوم.

ثمّة طيور خرجتْ لتوّها من مخابئها لتعاين ما حلّ بالطبيعة.

داني يمسك يدي، وأنا أقبض على سعادة الحياة كلّها.

الكويت